مطبوعات شرقية

كتاب التشبيهات لابن ابي عون

عني بتصحيحه محمد عبد المعيد خان

طبع في مطبعة جامعة كمبردج سنة ١٣٦٩ هـ. ١٩٥٠ م.

« E. J. W. *Gibb Memorial* » Series, new series, XVII

مما يجعل من هذا الكتاب وسيلة من خير وسائل العمل توطئته باللغة الانكليزية وفهارسه العديدة والهوامش الرصينة التي علقها في نهاية الصفحات. اما الكتاب الذي طبعه عبد المعيد خان فهو من مؤلفات ابن عون المشهورة الذي يحوي منتخبات شعرية كثيرة استمدّها ممن سبقه من الشعراء.

ونستطيع ان نقع في هذا الكتاب فيما يختصّ بالمنازع الادبية وضروب الشعور الانساني على استشهادات من اوزان عديدة هي خير أو من خير ما جاء عند شعراء العرب.

والذي لا شك فيه ان الناشر قد دأب في العمل اذ كان عليه ان يطّلع على شتى المستندات في مختلف كتب المؤلفين التي اشار اليها وعلى العديد من نسخ مخطوطاتها حتى جاء موفقاً في عمله.

واننا لنستسيح للنفس ان نوجّه له نقداً بسيطاً وهو اننا كنا نروم من المؤلف ان يكون اشد توسّعاً في وصف المخطوطات التي عوّل على استخدامها اذ في ايضاحه هذا كان بمقدوره ان يمهّد امامنا الطريق لنكون حكماً على قيمة المخطوطة التي اختارها.

ومهما يكن من امر فالطبعة على ما هي عليه ممتازة ولا يقال نقدنا لها شيئاً من قيمتها.

ا. ع. خليفه

مقالة في اليزيدية ــ كتاب تذكرة الكحالين

الاب انطونيوس شبلي اللبناني

ظهرت تباعاً في مجلة المشرق سنة ١٩٥١ و ١٩٥٢. المطبعة الكاثوليكية. بيروت

لقد اصدر حضرة الاب المحترم الذي يدأب منذ سنوات عدة في البحث

والتنقيب عن المقالات والنصوص الشيّقة القيّمة التي ينشرها في هذه المجلة مؤلفين يدلّان على غزارة علمه وطول باعه .

ومن المستحيل اذا ما قرأنا كتاباته ان نمسك النفس عن الانده‍اش حيال ما تحلّى به من ثبات وجلد لتدوين ابسط الشؤون فهو الذي احب العلم للعلم والاداب السائرة دائماً صعداً في تقدمها .

ولقد انتهج حضرة الاب شبلي نهجاً علمياً في مجونه اذ لا يقدم على نشر امر من الامور ما لم يشبعه درساً وتمحيصاً وكفى باسلوبه هذا ليعتب الى ذوي الاحتكاكات الدقيقة مطالعة كتاباته . فكتابه الذي موضوعه اليزيدية من المؤلفات التي يجد فيها مؤرخو الاديان ما يحملهم على التفكير والاطلاع الذين يرغبون في التعليل الرصين الواضح والعلاجات التي كان يصفها من سبقوهم يجدون في تذكرة الكحّالين ما يهيب بهم الى الاقتباس والاعجاب .

ا. ع. خليفه

الموصل في الجيل الثامن عشر حسب مذكرات دومينيكو لانزا

عربها عن النص الايطالي القس روفائيل بيداويد

مطبعة النجم ، الموصل ، ١٩٥١ ، ٢٨ صفحة

على رغم صعوبة الترجمة فقد وُفّق الاب بيداويد في عمله اذ وضع في متناولنا ترجمة قصة رحلة لانزا الدومينيكي بلغة لا تشوبها شائبة من حيث الوضوح المستوفي . فهي حوليات تبعث تاريخ الموصل حيّاً للقرن الثامن عشر اذ رواه شاهد عيان . ولئن طفح هذا المؤلف بنفسية المؤلف فهو ينفحنا بمجموعة تفاصيل الحوادث . ولا يسعنا الا تهنئة المترجم على اتحافنا بمثل عمله وتشجيعه على الاستمرار في الترجمات التاريخية التي تزيد في ثروتنا وتعرفنا الى مناطق نكاد لا نعرفها حق المعرفة حتى الآن .

ا. ع. خ

ديوان شبلي الملاط

الجزء الثاني . طبعة ربيع عام ١٩٥٢ ، ٥٢٢ صفحة

يا لها من مادة غزيرة ! ويا لها من موضوعات في محلها !

اجل ان الملاط شاعر الارز قد جعل نفسنا تستشعر اذا ما قرأنا ديوانه

نفس التأثير الذي تستشعره اذا ما نظرنا الى ارز جبالنا الخالد: تستشعر اتساعه ونداوته وعمق جذوعه . كاتساع افاق الشاعر وندى قصائده ، هذا الشاعر الذي لم يستغلق عليه باب من ابواب القريض ولم يقصر في توسيع موضوعاته وتعميق شعوره ليهز اوتارنا .

لله كل هذه هي شاعر الارز الملاط . ويا لها من حماسة كانت تلهب من الصراخ عندما قرأنا قصائده وتحتسنا تلك الحياة بنبضاتها وتقلباتها التي نسج منها بردة ديوانه حتى كاننا نتأثر التاريخ خطوة فخطوة ، لا تاريخ وجل فحسب ، بل تاريخ حقبة عظيمة الاهمية في حياة لبنان . ومنذ زمن بعيد امتزج هذا الرجل بتاريخ بلاده وخدمها باظهار عبقريتها وما لها من قيمة حتى لا يمكننا فصله عنها ولا بدّ له من الخلود. ولا شك في ان احفادنا سيتفنون بقصائد هذا الشاعر الفياض القريحة ليعرفوا ان لبنان لم يفتقر الى الشعراء ليخبروا بعظمته ويبينوا جماله عبر تاريخه الطويل.

ا. ع. خليفه

الى الشباب. اراجيز في احدث وسائل النجاح من الاخلاق والآداب

خليل مطران

المطبعة البولسية – لبنان – ١٩٥١ ، ١٢٥ صفحة

طاب للشاعر الكبير خليل بك مطران انْ يضع في متناول الشبان الذين احبهم نصائح شعرية توخى بها تقويم سلوكهم ونجاحهم في حياتهم فلم يضنّ عليهم باسدائهم المبادئ الاخلاقية الاجتماعة والفردية المفتقرة اليها ايامنا اشد الافتقار ولاسيما بعد ان اظهر ابناء عصرنا رغبة في الانصراف عن الاخذ بها تزداد يوماً عن يوم.

ونحن لا نستطيع الّا ان نتوجه بشكرنا لجامع هذه الاراجيز السيد البير مطران وناشرها.

ا. ع. خ

الوعد الحق

لطه حسين

دار المعارف بمصر ١٩٤٩

الوعد الحق رواية تاريخية للاديب الشهير طه حسين . طُبعت صفحاتها المئة

والستون خلال سنة ١٩٤٩ على مطابع دار المعارف بمصر . إنتهج طه حسين في هذه الرواية منهج جرجي زيدان في رواياته التاريخية . وما الوعد الحق سوى رواية نشأة الدين الاسلامي وتطوره في بعض عائلات مكية . صرف المؤلف جهده عن الطبقتين الشريفة والمتوسطة الى الطبقة المسترقة المستعبدة . فعرض منها رسوماً فردية وصوراً عائلية ومشاهد اجتماعية يبدو فيها الانسان الرقيق معدوم الارادة مهضوم الحق مقهور النفس والجسد . يقول الرق رباح مخاطباً مولاه خلفاً : « متى ينقضي هذا الليل ومتى يسفر عن الصبح المشرق؟... هذا الليل هو الدهر الذي نعيش فيه والذي يُسوّى فيه بين الارقاء وتَنْدُق فيه الحرية بين الاحرار . أما الصبح فهو الزمان المقبل الذي يُسوّى فيه بين الاحرار والعبيد ويتايز الناس فيه بأعمالهم وبلائهم لا بمنازلهم وحظوظهم من الثراء » . فهذا الصبح الذي يرقبه رباح ليس إلا دين محمد ووعده الحق . واجتهد الكاتب في تصوير هذا الدين الجديد الذي لا يفرق بين الحر والرقيق ولا يميز بين الناس إلا بالتقوى وبما يعملون من صالحات . غير ان ذلك الانعتاق وتلك المساواة لا يتمان بلا نزاع وصراع . فنشهد في الوعد الحق حرباً عنيفة بين بعض العبيد وارباهم وبين المسلمين المحدثين وابناء قريش الوثنيين . وسفرت تلك الحرب عن انتصار الحق على الباطل بدءَ الحرية مد العبودية .

ان اسلوب طه حسين القصصي الرائع والنفس الحنون الذي بثه في « الوعد الحق » يستران ما فيه من غموض في التصميم وتفكك زهيد بين المشاهد والفصول . ونلحظ بحجب عدد الاخطاء المطبعية الطفيفة التي سها عنها ملتزمو طبع الكتاب ونشره.

ص. تعمه

اعلام الاسلام ــ ابن رشد الفيلسوف

للاديب محمد يوسف موسى

دائرة المعارف الاسلامية بمصر

اصدر الاديب محمود يوسف موسى في مجموعة اعلام الاسلام كتاباً عنوانه : « ابن رشد الفيلسوف » . اراانا الكاتب ابن رشد في عصره وموطنه وأسرته ثم بسط لنا شيئاً من علمه وفلسفته . ولخص رسالته الادبية بجملة : « الانتصاف

للفلسفة ورد اعتبارها لها واحياؤها بعد ما لقيت من الغزالي ، والتوفيق بينها وبين الدين والشريعة ». لا ريب ان صفحات الكتاب المئة والخمس عشرة تضيق جداً باستقصاء سيرة ابن رشد وفلسفته . ويبدو جلياً ان الكاتب ما طمح الى ذلك . لكنه اراد تلخيص بعض مظاهر حياة الفيلسوف وعرض نقاط فلسفته الاساسية دون تنقيب وتمحيص . نظنه قد وُفق الى ذلك تمام التوفيق . إلّا ان وسع الموضوع وضيق المجال لديه حتماً عليه حصر افكاره فجاءت بعض جمله غامضة معقّدة.

ص. نعمه

الازائية الانجيلية

نظمها باليونانية والفرنسية الابوان لاكرانج ولافيرن الدومنكيان
نقلها عن نصها الفرنسي الى نص عربي الاب مرمرجي الدومنكي
مطبعة المرسلين اللبنانيين ، جونيه – لبنان ١٩٤٨ ، ٣٦٦ ص

لقد كان الباحثون وعلماء الكتاب المقدس ينتظرون بفارغ صبر ومنذ زمن بعيد كتاباً شديد الجدوى كمؤلف الاب مرمرجي الذي صارحنا بانه قد اختار فيه ترجمة المطران داود للانجيل لان هذه الترجمة واضحة ودقيقة وقريبة جدّ القرب من النص الاصلي .

وهذا الكتاب مزيل بفهارس تسهّل استشارته وتحمل من يودّ الالمام بلحظة واحدة باحد نصوص الانجيل التي رواها الانجيليون الثلاثة على ان لا يستطيع الاستغناء عنه. لان الكتاب جدير بكل انسان اقتناؤه .

ا. ع. خ

سر المحبة

الاب بطرس ساره
بيروت ١٩٥٣ ، ٢٥٨ ص

انها النفس المفعمة بالمحبة ، محبة الباري فترجمت مؤلف نفس ثانية ملؤها الله واعني بذلك ان الترجمة الرائعة التي نفحنا بها الاب ساره لتساعد النفوس المتعطشة للسرمدي على ان تأتي اليه وترد منه الحياة. – وتردان هذه الترجمة بشعائر تقوية للممارسة من شأنها ان تأخذ بيد المؤمن في ورعه وتعبّده.

ا. ع. خ

كتاب استغاثة الانفس المطهرية لشهر تشرين الثاني
اعتبارات تقوية في حياة العذراء المجيدة
وضعها قدس الاباتي المحترم اغناطيوس داغر التنوري
بيروت ١٩٥٢ ، ١٥٩ و ١٥٩ ص.

هما كتيبان يطفحان بنفس هذا الراهب الكبيرة الذي آثر حياة العزلة حاملًا النفس الى مناجاة ربه . وقد احتفظنا بهذه الوريدة مع كل ما لها من عذوبة وما فيها من تقى .

والكتيبان جزيلا الفوائد وعميا الخير للنفوس التي تبحث عن النور في مسالك هذه الحياة الصعبة .

ا. ع. خ

P. Joseph Nasrallah. — *Saint Jean Damascène, son époque — sa vie — son œuvre.* Harissa, 1950, XV - 200 pp.

ليس تدوين تاريخ القديس يوحنا الدمشقي من الامور السهلة ومع ذلك فقد وُفق المؤلف باحتفاظنا بها فاحيا امامنا اولًا البيئة التاريخية التي كيفت عقلية يوحنا لينتقل بعد ذلك الى محيطه العيلي الذي تلقى فيه الفضائل وتميز فيما بعد ومن ثم الى التحدث عن ذلك القديس في خدمة الخلافة ووفائه لها فانتقاله الى دير القديس سابا ومن ارهاف عبقريته ومناضلته لمذهب محطمي الايقونات واخيرًا عن موته .

وقد خصص القسم الاخير من كتابه بدراسة مؤلفاته وتراجمه العديدة ونفوذه. ويطيب لي ان اثني على ميزة هذا العمل العلمي كالطريقة المضبوطة التي تقيد بها المؤلف وحافظ عليها الى درجة التطرف احيانًا بالتقيد .

ولا يسعنا الا ان نهنئه على ذلك كما نشكره ايضًا على ارتياده المصادر وجمعها ليتحدث عنها تحدث المطلع العارف بيد اننا كنا من الراغبين في ان يرشدنا الى النقاط الجدلية في حياة القديس يوحنا الدمشقي . ولقد اشار اولًا الى اصله واتهم بالتحيز الذين يجعلونه من اصل سرياني . ومما يبدو لنا ان ثمة نقاطًا اخرى كان حريًا درسها وهو لم يشأ درسها تفاديًا عن مناقشات لا طائل تحتها .

والذي كان موضوع رغبتنا بخاصة هو وقوف المؤلف قليلًا بعد ان تحدث عن مختلف البيئات التي المعنا اليها ليعطينا صورة عن نفسية القديس الدينية اشد تفصيلًا ويرينا اياها مع كل ما كانت تختلج به من خلال كتاباته العديدة .

فالطبعة الثانية ستسد هذا الخلل ، ان شاء الله . اما المؤلف فقد شجع اخوانه الشرقيين على بحث تاريخ رجل واحد بحثاً لا يقل علماً عن هذه « الحياة » .

وهكذا يكونوا خدموا التاريخ والادب والكنيسة. ا. ع. خليفه

Abbé G. Rémy. — *De la création à l'ère atomique. — Autour de la Bible.* — Bonne Presse, Paris, 1951, 209 pp.

ما اجزل الفوائد التي يسديها هذا الكتيب للطلاب ورجال العلم اذ يجدون فيه المبادئ لحلّ المصاعب التي يصطنعها غير المؤمنين ضدّ اقوال التوراة . فهو خير مرشد للمؤمنين لانارة طريقهم وتلقينهم كيف ينبغي لهم ان يطالعوا الكتاب المقدس . اما مستندات المؤلف العلمية فبغاية الضبط وعصرية . اما كتابه فجدير به ان يكون واسع الانتشار بالنظر الى الخير العميم الذي ينجم عنه. ا.ع.خ

R. P. A.-S. Marmardji, o. p. : *Textes géographiques arabes sur la Palestine.* XVI.I — 270 pp. gr. in 8° — Coll. *Etudes bibliques,* Gabalda, Paris, 1951.

النصوص الجغرافية العربية التي تتناول فلسطين

اننا نقع في هذا الكتاب على ترجمة مجموعة نصوص جغرافيي العرب المتعلقة بفلسطين التي مهّد لها المؤلف بلمحة لا بأس بها من الجغرافيين المشار اليهم . اما اسماء الامكنة فرتّبة وفق الابجدية العربية. اما ما يتعلق بالمسجد الاقصى فقد جعله في آخر الكتاب .

وثمة تبت جغرافي بالابجدية اللاتينية يسهّل ايجاد الموضوعات .

وتقاضي هذه الترجمة التي قام بها استاذ دراسات التوراة الكبير النصوص العربية بجغرافيها وهي التي جمعها المؤلف وطبعها في كتاب على حدة .

وانه لمؤلف جليل الفائدة العملية بمراجعه التي تخولنا ان نجد في بضع ثوان الفقرات التي كنا نقضي وقتاً طويلاً لايجادها في المصادر الاخرى المطبوعة . ه. شارل

Henri Arvon, *Le Bouddhisme.* Coll. « *Que Sais-je ?* ». Presses Universitaires de France. Paris, 1951.

حسنات هذا الكتاب المختصر هي خاصةً الوضوح مع ان الموضوع عويص متشعب .

فبعد ان يُظهر الكاتب روح الفيدية والبرهمية التي أنجبت البوذية، يعرض العقيدة الاصلية لهذه الديانة ويتكلم بلمحة تاريخية عجلى عن انتشارها في كل اسيا الشرقية والجنوبية وعن التطور الذي طرأ عليها .

كنا نودّ لو أسهب المؤلف في كلامه عن عقيدة النرفانا التي هي اساس البوذية ، وفي شرحه لمظاهر التصوف العقلي الغربي بالنسبة الى فكرة الهند الروحية (A. Schweitzer) فهذا ما يستحق فصلًا مستقلًا كالفصول الجميلة على قصرها التي خصّ بها الكاتب تنافر البوذية مع اراء كونفوسيوس وتقريبها من الديانة الشنتوية .

ه. شارل

GEORGE DRAGUE, *Esquisse d'histoire religieuse du Maroc*. 332 pp. in 8°, écu, avec une bibliographie, deux index, VIII tableaux et 2 cartes h.-t. — Peyronnet, les Cahiers de l'Afrique et de l'Asie, prix : 800 francs, Paris, 1951.

لمحة عن تاريخ مراكش الديني

من الملحوظات التي ابداها السيد مونتان (Montagne) في توطئة الكتاب ان ظهور جمعيات سياسية في الاسلام الشرقي منظمة على طريقة الاخوان هو من الامور التي ينبغي لنا ان نعلق عليها الاهتمام في المغرب وقد يعتري شكل هذه الجمعيات القائم الخمول ولكنها تمثل على كل حال قوة دينية ستظهر يوماً بصورة او باخرى .

ومهما يكن من امر فان هذا الملخص الكبير الفائدة ليضعنا حيال موضوع شديد التعقيد . اما الفصلان النهائيان اللذان يوضحان بجلاء هذه النقطة فتليهما ستة ابواب تتناول بالتفصيل خصائص اهم هذه الجمعيات .

ه. شارل

VINCENT MONTEIL, *Contribution à l'Étude de la Faune du Sahara Occidental*, 172 pp. in 4° avec 2 simligravures, de nombreux index et une bibliographie d'ensemble complétée de références particulières selon les chapitres, t. VIII des *Notes et Documents* de l'Institut des Hautes Études Marocaines de Rabat, Larose, Paris, 1951.

في سبيل دراسة حيوانات الصحراء الغربية

لقد صدق اعتقاد المؤلف في كتابه انه جزيل الفائدة والنفع ودقيق لاشتماله

على مختلف ضروب الاختصاص : من علم الحيوان واللغة واجناس الشعوب .

ويجد القارئ ما عدا اسم الحيوان العلمي وما يسمّى به في اللغتين الفرنسية والانسانية المصطلحات المتعلقة بمختلف احواله وفق شتيت اللهجات المستخدمة إبّان توزيعها الجغرافي .

وبعد استيفاء المؤلف تعريف الحيوان ودراسة حياته يتحفنا بفقرة تتناول الاراء والمعتقدات والحيوانات المحرّمة .

واننا لنشكره على عمله القيّم الكبير الجدارة كما نتمنى ان يذيّله بثبت يسهّل مراجعته .

م. شارل

The Master of Belhaven (L'-Col. A. Hamilton), *The Kingdom of Melchior*. In-8° de X-212 pp. Avec 18 h.-t., 2 cartes, 1 index, et un appendice donnant le thème de 10 mélodies arabes. John Murray, London, 1949.

انها قصة جندي اصبح رجلاً سياسياً في عدن . فهو يسرد لنا مغامراته في جنوبي غربي البلاد العربية ، على حدود اليمن والربع الخالي ، بين تلك المدائن المدهشة الغريبة ، كانها اخواتٌ او بناتٌ لمدائن ملكة سبأ او ملكار الملك المجوسي .

فريشة الكاتب السيالة ترسم لنا المشاهد شعريةً ملونةً ، وتخطط باسلوبٍ حيٍّ رشيق وجوه الاشخاص الذين يظهر بعضهم من خلال صور شمسية جميلة .

تذهب مع الكاتب الى اكتشاف صنعاء ويغرّقنا الامام يحيى وحاشيته المخلصة او المتصنعة الاخلاص في جوٍّ من التكاسل والتردّد السياسي . ونشهد معه قمع فتنةٍ او استسلام نبيٍّ فضّل الخضوع والاركان الى السكوت .

ونفهم بعد قراءة الكتاب ان اكتشافات اولئك الجنود المرسلين الذين تعودوا هم ايضاً الغزو لحاجةٍ مادية او لجولةٍ رياضية لم تكن دائماً مبنيةً على اساس التفاهم الانساني الصادق الثابت . وهكذا تشرح الألم المزوج بشيء من القنوط الذي يعتري نفس « مستر Belhaven » مؤلف الكتاب. فهو يشعر بالوحشة في بلادٍ تعرّف اليها وبين شعبٍ خالطه وعاش في جواره قطعةً من الحياة .

م. شارل

EUGÈNE GUERNIER, *La Berbérie, l'Islam et la France*. Deux volumes in-8° de 416 et 400 pp. avec 29 h.-t. en similigravure, 3 cartes, des bibliographies et un index. Edit. de l'Union Française, 3 Rue Blaise Desgoffe, Paris, 1950.

في هذين المجلدين المطبوعين طبعةً جميلة يقدم لنا الكاتب « دون ادّعاء علمي محاولة لأحياء روح شعب البربر .»

ونراه يحاول ان يحلّل ، خلال الألفي سنة الحالية ، النفسية الاجتماعية التي توحّد بين الشعبين البربري والفرنسي ، فيتكلم عن العقلية والديموقراطية الفردية التي تتآخى بين الشعبين .

بعد ان انضمت بلاد البربر الى اوربا الجنوبية سنة ١٥٣٠ بواسطة فرنسا ، على الفرنسيين ألّا يفرّقوها وينزعوا عنها شخصيتها بل عليهم ان يساعدوها لتجد طريق ذاتها عن طريق اتحاد اوسع ، هو الاتحاد الفرنسي .

ويعتبر الكاتب ان الاسلام هو الحاجز الاكبر الذي يحول دون هذا الانضمام. اما الحلّ الذي يقدمه لهذه المشكلة التضامنية فيبدو باطلًا من اساسه لان التوحيد العقائدي الديني هو خيانة لكل دين . فالدين هو حياة وتعبير ايضاً ولن يُعبَّر عنه الا من الداخل . وعدا عن ذلك فمشكلة الدين والتعبير عن بواطنها تعود الى اختصاصي او لاهوتي . فالسيد Guerrier يخرج عن صلب موضوعه عندما يحيّل نفسه في « هذه المحاولة البسيطة » حلّ معضلةٍ كهذه متشعبة عويصة . وعلى كل حال لنحتفظ من كل هذه الصفحات التي يكرسها الكاتب لدرس هذه القضية بالامل الذي يجعلنا نرجو ان يهتم المسيحيون والمسلمون بديانة جارهم فيتعمقوا في درسها ويحاولوا فهم افكار متصوّفيها ومفكّريها .

وهناك موضوع آخر يبحث فيه الكاتب بعض الشيء. وكان من حقه ويوسعه ان يتعمق في تفرّعاته ويجد لها حلًا اكثر مما فعل : ألا وهو موضوع العرب والاستعراب . في بلاد البربر « لا تزال » اكثرية السكان عربية (١٣ مليوناً من اصل ١٩) . والبربريون رغم ابتعادهم عن الديانة الاسلامية جُعلوا مسلمين ، مع ان الاسلام ليس فقط ديانة بل شريعة وتيوقراطية. فاسلام الذي هو ديانة مفتوحة للجميع نجدها احتكاراً — ألا في الهند وفي افريقيا الوسطى —

في صالح العرقية العربية . وهذا ما يجعل كل محاولة لمنفعة البربر في افريقيا الشمالية غايةً في الدقة والخطورة. فكل محاولة من هذا النوع تعتبر مظاهرة ضد العرب والاسلام. وهذا ما حدث سنة ١٩٣٠ في مراكش ، مع ان الخمسين بالمئة من المراكشيين هم من محبي البربر ومناصريهم .

فعلى فرنسا اذًا ، بالنظر الى ثقافتها وتقليدها المسيحي الموروث الذي اعدّها لهذه المهمة ان تحاول توحيدًا ليس دينيًا بل انسانيًا . فنتيجة هذه المحاولة مع النتائج الاخرى التي عقبتها من قديمة وحالية نقرأها في القسم من الكتاب الذي يحمل عنوان : « فرنسا وبلاد البربر .» اما القسم الرابع فهو جميل يوحي الشيء الكثير ولكنه نظري اكثر مما هو واقعي . يتكلم فيه المؤلف عن « الحلول الممكنة » من حيث العلاقات بين الاوروبيين وسكان البلاد البربرية ومن حيث الشؤون الاقتصادية والتعليم الزراعي خصوصاً والاثر الثقافي والاجتماعي والتجانس المتدرّج رويدًا رويدًا . فهذا الفصل يساعد كل الفرنسيين على ان يتخذوا لهم فكرةً واضحة عن رسالة بلادهم في افريقيا الشمالية وان ينتدبوا منتقين من هم اهلًا للقيام بهذه الرسالة بشجاعة وعقل ثاقب . ه. ش

GEORGES MARÇAIS, *Tlemcen*, 104 pp. in 4° avec une bibliographie et 60 héliogravures h.-t. et 9 dessins au trait dont 2 plans. — Laurens, Les villes d'art célèbres, Paris, 1950.

ان المؤلف لصديق حميم من اصدقاء لابنة المغرب الاوسط المدين لها بدعوته كتنان وكعالم علّامة من علماء الحضارة الاسلامية وقد احيا لنا هذه المدينة وحببها الينا كما عرفها هو . اما لغته فمفعمة حيوية وتنعشها رسوم فنية تطبع فينا اناقة الفن الاسلامي وبهجة حدائق البحر المتوسط .

ولقد جاء هذا الكتاب كما دار في خلد المؤلف خير تقريظ له لانه كان ابرّ بتواعيده من التجواب وهو على كل حال من فضلى الذكريات. ه.ش

الاسلاف وعلومهم لا يبرح نورها مشعًا في ميادين الادب والفلسفة والمناظرات الدينية . لقد قيل ان التاريخ يعيد نفسه وربما كان لنا من عبر الماضي ثروة تحدو بنا الى تقفي الحاضر وادراك معضلاته : كل هذا فهم الاب شيخو حق الفهم وادرك الامور التي يضحي بها ليكون طليعة المفتشين والمنقبين الاول . ومن تلك الامور النهج العلمي والدقة في التنقيب .

وهل كان في عصره منهج علمي صحيح . أولا نحكم على الماضي بالنسبة الى المعارف التي احرزناها في حاضرنا ونحن لم يتأتَ لنا احرازها الا بعد استهلاك الزمن الطويل في سبيلها ! ألسنا نحكم على غيرنا بحسب اساليبنا الخاصة فنستحق ان يقال فينا اننا في افتقار الى ابسط المناهج العلمية ؟ اجل ان الواجب يقضي علينا بان نفهم كل عصر بجميع ما احاط به من الدلائل التاريخية والنفسانية والا كنا عرضة لارتكاب اعظم اخطاء التاريخ وذلك اذا ما قسنا الماضي على الحاضر كما لا يزال يفعل في غالب الاحيان العدد الكبير من اصحاب العقول القوية ... المتسرعين بالعمل العلمي في يومنا الحالي.

ولئن كان من السهل اذًا الانتقاد فان التغني بالظفر على السهولة نفسها .

لقد عرف الاب شيخو انه كان يضحي بشهرة العلّامة التي اطلقوها بحق عليه كما نعتقد لانه كان رجل الطليعة الذي فتح طرقًا فسيحة امام الباحثين في عهده وامام من يجيء بعده . ولا يسعنا الا ان نستمرّ من المعجبين به ومن الذين يفخرون بآثاره العظيمة واخلاصه الصحيح لخدمة التاريخ والشرق ، ولا بدّ لمن يطلع على مؤلفاته وما كتبهُ من ان يكنّ له في قرارة النفس احترام ذكراه والرغبة في تكريمه .

وما قصر الاب شيخو عمله على مجموعة فقط فانه قد كان مفطورًا على نبش الكنوز الادبية فاقدم اقدام الواثق بعصاميته وحدسه على كشف ما كان كبير القيمة ، وقلّما اتيح ان يجتمع مثل تلك المقدرة على العمل والدقة في الاختبار في رجل واحد . واذ شاء ان يكون طليعة المنقّبين فقد ادرك الامور التي ضحى بها فلذلك لم يساوره قط التردد والاحجام . اما اذا رأيناه يسرع احيانًا بعض الاسراع في ما يكتبه فما من داع يحملنا على الدهشة

ويجدر بنا الترفع العقيرة ضد دكراه لان ما كان يكنه صدره من معارف واسعة ولان الطرق التي شقّها امام البحث والافاق التي اوضحها للباحثين في المستقبل لتعوّض كل التعويض عن عثرات لم تكن لتعدّ عثرات في زمانه .

ولئن اخذوا عليه تلك السرعة الكبيرة وتقدره لكونه قال ان كثيرين من اولئك الادباء الذين كانوا قبل الاسلام وبعده من المسيحيين فان ثمة دراسات اشد تدقيقاً قد اعطت كلًا منهم حقّه . اما اجتهاده الشخصي الذي كان في ارض بكر فقد بثّ في الكثيرين — ما عدا تذوق آداب تلك العصور السحيقة — الرغبة في تفهم شعرها والايغال في البحوث الاخرى والقيام بها .

وما اصدق هذا القول على كثير من مآثر الاب شيخو الذي اسدى للنهضة الادبية العربية خدمات جلّى لم يتفق لاحد قط ان اسداها مثله وذلك بصفة كونه رجل الطليعة وبمد الطريق وزعيماً في ارض بكر في نهاية القرن التاسع عشر .

لا نجعلنّ لنا رائدًا عدا الاخلاص . فلذلك متى وقمنا في تاريخ الادب على اسماء كل الذين ساهموا في النهضة الادبية لا نرى بينهم الا النفر القليل الذي كان على غراره يتحلّى بتلك الثقافة الواسعة وذلك الفكر الذي استهواه حب الاطلاع على فروع عديدة وهي لم تكن عديدة في نظره لانه وجد بين جميعها لحمة القرابة .

واولئك الذين ساهموا في النهضة قد راضوا النفس على قرض الشعر وعانوا التاريخ والمسرح والنقد الادبي وسائر الابواب الاخرى ، ولكن قلّما كان بينهم من جمع في نفسه حذق الحاضر والعمل الثاقب البصير وتقديس الماضي كالاب شيخو .

ولا يستطيع احد — مهما بلغت به المكابرة — ان ينكر عليه هذا الامر الذي امتاز به .

ولقد قلنا ان الاب لويس شيخو كان يعرف انه رجل الطليعة ويعلم بانه يضحّي باختصاصه الضيّق ، ذلك الاختصاص الذي سيميّز العصر التالي .

ومهما يكن من امر فنحن مدينون لذكراه لنجهر بالقول انه قد نفح

عصره بقدوة الجلد على الدرس وبنشر مخطوطات الكتب التاريخية وبعثها بجلبية بروح الناقد البصير وبالتحليل العميق جدّ العمق وبالمقارنة بين النصوص والمؤلفين وما ذلك جميعه الا الخصائص التي يتاز بها خير علماء يومنا .

*

كان شيخو مؤرخاً بكل ما في هذه الكلمة من معنى وهو جدير كما نعتقد بهذا اللقب . فقد كان يهمه بحث حياة الانظمة وتطور الادب وتقدم الدول في كل عصورها . وكان يُعنى بدراسة عوامل البيئة وقرائنها برمتها اي كان يُعنى بجميع ما حفّ بحياة الادباء الذين تصدّى لتأريخ حياتهم واختار شيئاً من مآثرهم في كتاب المجاني الذي لا يسدّ مسدّه اي كتاب آخر .

اجل كان الاب شيخو من مؤرخي اللغة العربية التي اخلص لها الحبّ ، ونشره المخطوطات الادبية برهان قاطع على صحة ما قلناه بصدده . واذا لم يؤلف تلك الوحدات الضرورية التي كان اعدّها لها ما نشر من مخطوطات فمن الاكيد انه كان ينتوي ان يدرس يوماً كيفية تطور الكلمة والعبارة والقالب التركيبي تطوراً معنوياً ويمكن لغيره في هذه الدراسة .

ولئن تناولنا في كلامنا المجاني فانه يبدو لنا كأنه سوق قد عُرض فيها الادباء الذين لم يذكرهم الّا وفاقاً لفكرة منهاجية بعيدة الغور ، واذا ما ذكر ذلك العدد الكبير منهم فلكي يدلّ على اهتمامه بدث محبة الاقدام على تقليب الصفحات ، التي علاها الغبار ، في افئدة من لا جرأة لديهم ليكشفوا ما فيها من كنوز دفينة ويبعث فيهم حركة اختيار الموضوعات غير المطروقة وتحسس حركة التقدم الذي تحقق قرناً فقرناً والالمام بهجسات النفس ودراستها دراسة نفسانية .

ولم يضع شيخو المجاني وحده . فهناك المخطوطات التاريخية التي نشرها . وايم الحق ان جلده في اختيار مختلف القراءات وروايتها لباعث على الدهشة . واذا ما خُيّل الينا اننا واجدون في ما اختاره ألهية من ألهيات الاطفال وان انتخابه لها كان انتخاباً اعتباطياً فالامر على نقيض ذلك تماماً ... فلكي نأمن العثار علينا ان نرجع الى ما كان يجول في عقل ذلك الاديب وما هي الظروف التي كان يعيشها لنقول ان تلك القراءة لا تنطبق كل الانطباق على عقلية

الاديب الذي ندرسه ولا على نفسية زمان كتابتها لان للكلمات تاريخها ولا نقوى على اختيار ما نريد منها بدون تمريض النفس للوم . اما الحوامش التي ذيل بها تاريخ بيروت لابن يحيى مثلاً فمن الحيف ان نبخسه حقه من التقدير على ذلك التردد الطويل حول كل نقطة قبل الشروع بعمله حتى أمن الزلل باستناده الى الذرائع التي يسلم بها العقل ووالى طريقه مطمئناً .

وتاريخ بيروت هذا ... الذي اقتضاه ترويض نفسه على ادق روح نقدية قد استلزمه بذل جهد مستمر في التنقيب بين الاساطير تقضياً للنقاط التاريخية التي لا يأتيها الشك ولا تقبل جدلاً .

ولئن اختصصت بالصمت عن الكلام على مؤلفات شيخو التاريخية الاخرى فاني اردّ الالماع الى احدى ميزات طريقته التي كشفها تارد (Tarde) في نهاية القرن التاسع عشر وتبيّنها قبله الكاتب الكبير ابن خلدون: اي على اتجاهه نحواً واحداً فلم يقف حائراً متردداً حيال نصوص شتى المؤلفين التي تتناول الحادث نفسه ليقارن بينها ويستخرج ما استبطنته من عنصر نفساني لكي لا يحتفظ الا بالعنصر الموضوعي منها فيشير اليه ويبحثه كحادث تاريخي .

ولسنا نتصدى للتحدث عن جميع ما نشره شيخو من دواوين عُني بها الاعتناء نفسه ودقتها التدقيق عينه وانما نود ان نتدلّ في هذه الملحوظة على ميزات طبائعه الخاصة به .

ومما نقدوه عليه ارتكابه سهواً بعض الاغلاط في الكتب التي اصدرها ، اغلاط لا تتفق والطريقة العلمية الصحيحة، فما كانت تلك الطريقة العلمية في عصره !

اننا لا نغالي ايّما مغالاة اذا قلنا ان الاب شيخو كان اكبر اولئك المساهمين في ايجاد تلك الطريقة التي كانوا لا يزالون دائبين في البحث عنها . فالانتقاد الذي يوجبونه اليه في هذا الصدد لا يستطيع ان يثبت على قدميه .

•

كان شيخو مناظراً صارم القول شديد الحملة لكنه كان يتقصى الحقيقة دائماً ولا يخرج عنها وكان يضمر في اشدّ حملاته احتراماً لشخصية خصومه الذين كانوا يحترمونه احتراماً عميقاً .

ولقد رغب خصومه بالامس يوم وفاته ان يحملوه على الاكتاف الى مثواه الاخير ... واذ كان من كبار رجال المناظرة فما اكثر الحقائق الدفينة الخفية التي وجدت فيه من اقوى المدافعين عنها واشدهم تحمساً لها .

وهل يسعنا ان نذهب بالقول الى حدّ اتهامه بالتعصب ؟ ان القضية التي نصب نفسه مدافعاً عنها كان في نظره قضية موت او حياة لانه كان مؤمناً لا يوارب في الدين .

ولستُ اقف عند هذه الميزة من ميزاته لانها كانت اقلها اهمية .

•

كان شيخو لغوياً . حدا شغف الاب شيخو اللغوي بالمخطوطات للقيام برحلات طويلة غالباً ما عرض فيها النفس للهلكة (راجع مقالة الاب لامنس التي خصّها به سنة ١٩٢٩ ، مطبعة باسكو (Bascou) ، ليون) وأحبّ فيه تعشقه اللغة العربية وشغفه بها شغفاً عظيماً . فشرع بنشر مخطوطاتها ككتاب الهمز وكتاب ابن دوروستويه وتهذيب الالفاظ وغيرها وقد توخى في جميعها اسداء اللغة العربية خدمة محكمة الضبط كل الاحكام .

اجل ما من امر اجدى نفعاً واجزل فائدة من ان نبيّن للعاملين والباحثين كيفية استخدام مفردات اللغة العربية بياناً مفصلاً جدّ التفصيل ، وليس من شأن اصدع بين امرين من الرجوع الى تلك المقارنات بين مفردات من نوع واحد واحياناً من اصل واحد لاحياء تذوق اللغة العربية والالمام بها تذوقاً والماماً بعيدي الاثر .

فهل كان شيخو ممن اجادوا في كتاباتهم ؟ قد نقع احياناً على بعض ضعف في لغته . لانه كان يكتب بسرعة عظيمة كما قلنا ولا يجهل ذلك ، لكنه اراد ان يضحي بالنوعية في سبيل الكمية التي كان لها قيمة عظمى .

فهل يحقّ لنا مؤاخذة رجل على لغته التي كانت على الجملة صحيحة لانه ارتكب بعض الهنات ونسدل ستاراً كثيفاً على خدماته الجبارة التي احسن اداءها ؟ ان في ذلك لمنتهى الاجحاف الذي لا يسلّم به منطق .

الخلاصة

ان اعمالنا تقضي لنا او علينا ، ومن المستحيل ان لا تتملكنا الدهشة امام الكتب العديدة التي نشرها الاب لويس شيخو لتفرض علينا احترامه ، وان اعجابنا به واكبارنا اياه ليزدادان متى عرفنا ان كتبه ما فتئت حتى الآن من ذرائع العمل لدى العلماء ومن وسائل التثقيف في الشرق الادنى وافريقية الشمالية وشتى البلدان الاخرى . واننا لنتمنى ان نرى قيام رجال عديدين على شاكلته ينفحون الانسانية بمعرفتهم نبش كنوز الثقافة واثناء المعارف العقلية ، اذ لا يزال ثمة عدد كبير من العلماء العاملين في الشرق والغرب يدأبون في ايفاء هذه المهمة الصعبة حقها بنشرهم للمخطوطات القيمة .

بَيْدَ ان شيخو قد ساهم مساهمة كبرى في تعزيز هذه الحركة وتقويتها . فلذلك لا بد لكل من عرفه شخصياً ويعرفه الآن من خلال كتاباته من ان ينحني اجلالاً لاحترام ذكراه .

حاشية . لا يسعنا ان نقرأ التعليق الصغير الذي خصه الاستاذ محمد كرد علي بالاب شيخو ونشره في مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق في عددها لشهر نيسان ١٩٥٢ الا والاسف يلفنا فقد انصرف الاستاذ الى ان يحمل حملة منظمة على الاب شيخو وذلك بعد صرف النظر عن اطرائه اطراء لم يكن له ندحة عنه .

ومن المؤكد انه لم يكن ليقدم على مثل هذه المهاجمة لو كان ذلك الذي لُقّب « بسلطان اللغة العربية » لا يزال على قيد الحياة .

ولقد اتخذنا في ما جئنا به في مقالنا التحفظات اللازمة واوضحناها بحسب فكرة شيخو — لان نفسية الكاتب غالباً ما تبين عمله — فنحن لا نستطيع تأييد انتقادات الاستاذ محمد كرد علي المغاطى. معظمها ، ليس في سبيل الدفاع عن شيخو بل للدفاع عن عمله كما هو ، ويا ليته قرأه بانتباه وارهف في تقصّي معنى التاريخ لكان له من امعانه في القراءة وارهافه المعنى التاريخي ما حال دون ضروب هذا الاستخفاف .

الاب اغناطيوس عبده خليفه

اليسوعي

المدير